الجزء الثاني

حصاد الفجور

حصاد الفجور

أكثر من ربع بليون عملية جنسية تحدث في العالم يوميًا وينتج عنها أكثر من نصف مليون حالة تعاني من أمراض جنسية مختلفة إضافة إلى الأمراض النفسية الناشئة عن الهوس الجنسي، المؤدية إلى ضعف القدرات الجسمية وبخاصة المناعية والعقلية والارتهان للتخيلات والرغبات المنحرفة. وعادة ما تتلازم هذه الأمراض النفس - جنسية مع تعاطي المخدرات، الجريمة، الاغتصاب وكراهية المشاركة الاجتماعية. وقد قدرت منظمة الصحة العالمية أن هناك ما يزيد عن ١٥٠ مليون حالة مرضية جنسية تسجل في العالم سنويًا. وتعاني النساء بشكل مكثف من مثل هذه الأمراض وتعقيداتها الحوضية والرحمية والتناسلية حيث أن معظم أعراض الأمراض الجنسية لا تظهر عندهن بالشكل المباشر الذي يظهر على الرجال.

عندما تصاب المرأة الحامل بالسفلس أو الهربس أو السيلان أو المتدثرة الرئوية، فإنها تنقل هذه العدوى إلى الجنين عبر المشيمة والسوائل الرحمية. بالمثل فإن الإيدز، الذي يمثل السبب الرابع لأعلى وفيات النساء في العالم، ينتقل بالممارسات الجنسية وبخاصة اللواط وعبر الأمراض الجنسية الأخرى. وقد تبين أن الأمراض الجنسية تقف وراء معظم حالات سرطان عنق الرحم وهو من أشهر وأخطر

السرطانات النسائية. كما وتحذر الأوساط الطبية من اللواط الذي يعتبر المُسهّل الأفضل للإيدز حيث يمكن للفيروس اختراق خلايا الشرج الحساسة وغير المخلوقة لهذا الغرض الجنسي والوصول بسهولة فائقة لإصابة خلايا (ت) اللمفاوية وهي هدف فيروس الإيدز الأساسي. وفي الإحصائيات ما يثبت أن الإتيان من الدبر يؤدي إلى رفع نسبة الإصابة بالإيدز أربعة أضعاف النسبة عند ممارسة الجنس من الفرج. كما ثبت أن اللواط يؤدي إلى تعقيدات نفسية - هرمونية مثبطة للجهاز المناعي ولقدرة الجسم على الأداء الطبيعي.

لقد انتشرت الأمراض الجنسية انتشارًا مخيفًا وذلك على الرغم من الحملات الإعلامية العالمية في هذا المضمار ويعود معظم ذلك إلى تأصل الفكر المادي في نفوس الأجيال وطلب المتعة بأي شكل أو ثمن،والضياع في دوامة السرعة التي تميز العصر الصناعي. ويمكن بط هذه الظاهرة "الانفلاشية" بالمعطيات التالية:

- تفكك الأسرة المؤدي إلى الفساد الخلقي وانتشار الزنا* واللواط والسحاق والفوضى الجنسية بشكل عام.

قال رسول الله (ﷺ): "إياكم والزنا فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء عن الوجه. ويقطع الرزق ويُسخط الرحمن ويسبب الخلود في النار".

- سهولة الحصول على حبوب منع الحمل ووسائل[1] منع الحمل الأخرى التي سهّلت الممارسات الجنسية في سن مبكرة. إضافة إلى عدم منع الإجهاض مما ولّد شعورًا بالأمان لدى المراهقين والشباب ودعمًا لتعاطي الجنس بشكل كيفي.

- ظهور أنواع ميكروبية جديدة مقاومة للمضادات الحيوية

(١) تقدم وزارة الصحة في البرازيل موانع الحمل مجانًا للفتيات دون سن العشرين. ويمنع الأطباء من إبلاغ الوالدين عن موانع الحمل لدى بناتهم في السويد.

المعروفة طبيًا.

- ليس لمعظم الأمراض الجنسية عند النساء أعراض واضحة يمكن تمييزها بسهولة ولذلك تكثر حالات العدوى من النساء إلى الرجال دون معرفة الرجال بذلك.

- سهولة التنقل ووفرة المال وكثرة المشاريع السياحية المسهّلة للرذيلة الجنسية.

- وسائل الإعلام والأفكار التي بدأت تعتبر اللواط ظاهرة اجتماعية طبيعية، مهّدت لانتشاره المخيف في العالم.

- تعقيد الأمراض الجنسية بالإيدز وارتباطه باللواط والمخدرات والضياع النفسي[1].

- عدم توفر الوعي اللازم حول العلاقات الجنسية وأمراضها.

- عمل المرأة واستبدالها بالرجل في كثير من الوظائف والأعمال، والابتذال في استخدامها كسلعة في الإعلانات وأفلام الدعارة والبارات وعلب الليل، وما ترتب على ذلك من ترغيب الشباب بالجنس باعتباره إنجازًا هامًا في حياتهم.

- عدم وجود قوانين حاسمة لضبط الفوضى الجنسية وبخاصة البغاء واللواط.

- ربط الممارسات الجنسية والظهور بالمظهر الجنسي بالفحولة الرجالية وبالعطاء الأنثوي عبر وسائل الإعلام والأفلام المصنوعة خصيصًا للقضاء على الترابط الأسري واتزان الشباب. إضافة إلى انتشار الصحف والمجلات الخاصة بالجنس والتي تسيطر على عقل المراهقين والشباب وتجعلهم أسرى للعامل الشهواني فيهم. وأخيرًا الدور المثير الذي تقوم به بعض القنوات الفضائية التلفزيونية وأثره السلبي على الأسرة.

---

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع كتاب المؤلف "الالتهابات: الإيدز السفلس وسرطان الجلد". بيروت. الدار العربية للعلوم ١٩٩٥م.

البلد	٪ للمراهقين الذين مارسوا الجماع قبل الزواج	
	ذكور	إناث
إسرائيل	٤٢	١١
إستراليا	٥٨	٤٧
اليابان	١٥	٧
ألمانيا الاتحادية	٣٥	٣٠
كوريا	١٧	٤
نيجيريا	٦٨	٤٣

مؤشر الفوضى الجنسية في العالم ممثلاً بالنسبة المئوية للمراهقين الذين مارسوا الجماع قبل الزواج.

البلد	عمر المرأة		
	١٤ عاماً	١٥-١٧ عاماً	١٨-١٩ عاماً
السويد	٨٧,٨	٦٣	٣٧,١
المجر	٢٣,١	٢٦,٣	٢١,٦
النرويج	٨٥,٧	٥٣,٧	٣٠,٣
الولايات المتحدة الأمريكية	٤١,٧	٤١,٧	٣٩,٦
إنجلترا وويلز	٦٠,٦	٣٨,٤	٢٣,٣
التشيك	٢٤,٥	١٩,٧	١٢,٤
ألمانيا	٣٣,١	٢٣,٦	١٥,٩
كندا	٤٦,٥	٣٨,٢	٢٧,٥
نيوزيلاندا	٢٣,٢	١٦,١	٧,٩

مؤشر الفوضى الجنسية في العالم ممثلاً بعدد حالات الإجهاض القانوني في كل ١٠٠ حالة حمل معروفة لدى النساء دون العشرين من العمر.

البلد	المعدّل
السلفادور	١٦.٩
الولايات المتحدة الأمريكية	٨.٨
كندا	١٢.١
إسرائيل	٣.٩
مصر	٠.١
النمسا	١٣.٣
سويسرا	١٦.٤
اليابان	١١.٩

معدل انتحار المراهقين الشباب في بلاد مختارة من العالم كمؤشر على المأزق الجنسي العالمي.
(المعدل لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان في الفئة العمرية ١٠-٢٤ عامًا).

البداية الخاطئة

قال الله تعالى في سورة الشمس: ﴿والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها، والأرض وما طحاها، ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾. لا تستقيم دراسة النفس البشرية إلا مع الإيمان برب الشمس والقمر والحياة والموت والروح والمعاد. لأنها سر لا يمكن فهمه عبر الموازين المادية وحدها. لقد حاول العديد من العلماء النفسانيين الدخول في هذا المضمار فأتعبوا أنفسهم وأتعبوا تلاميذهم. ومما يؤسف له. أنهم عادوا من هذه المحاولات دون فائدة حضارية تذكر لأنها لم تنعكس على المجتمعات وعلى سلوك الأفراد إلا شقاءً وضياعًا ولوعة وتخلف. وتشير الإحصائيات إلى أن عددًا كبيرًا من الأطباء النفسانيين أنفسهم في أمريكا. يعانون من أمراض نفسية حادة وأن حالات الانتحار هي الأكبر عند هؤلاء مقارنة بعدد حالات الانتحار بالتخصصات الطبية الأخرى.

يصيب الماديون عامة (فرويد) على أنه مؤسس علم النفس العلاجي. حتى وضعه (ميشيل هارت) صاحب كتاب "المائة العظماء" تحت الرقم ٣٢ من لائحة الأوائل. فقد رأى (هارت) أن "فرويد" كان من أوائل من كتبوا في الهستيريا. وفي تفسير الأحلام. ومن أوائل الذين بحثوا في علم النفس العلاجي بشكل تجريبي

بالاشتراك مع أشهر علماء النفس في باريس مثل جين شاركوت وفي النمسا مثل جوزيف برويز. ومن وجوه إعجاب هارت بفرويد أيضًا أن الأخير بقي يؤلف ويحاضر ويناقش حتى ناهز عمره ٨٢ عامًا. حين أجلاه النازيون عن النمسا إلى لندن عام ١٩٣٨م. وتوفي بعد هذا الجلاء القسري بعام واحد مما يدل على عقلية علمية متميزة. ويتطابق رأي (هارت) مع آراء تلاميذ فرويد بأفكاره ونظرياته فهم يرون أنه أول من حدد دور العقل الباطن في السلوك البشري. وأثبت كيفية تحكم هذا العقل بالأحلام وبحركات اللسان غير الإرادية وبتذكر أو بتناسي الأسماء ذات المدلول الخاص. وبالتالي علاقة العقل الباطن بالأمراض المترتبة على التعقيدات النفسية المنبعثة من هذا العقل الباطن. وهو كما يرى تلاميذه أول من كتب علميًا في الاكتئاب وحالات الإسقاط والدفاع عن النفس العكسي. وعن الجنس وعلاقة الطفل بأمه وعلاقة الطفلة بأبيها...

أما الرأي الآخر لفرويد فهو على النقيض:

يقول الدكتور ينلي مدير معهد الدراسات النفسية الأمريكية أن آراء فرويد لا تضيف شيئًا إلى القيمة الإنسانية لعلم النفس لأنه يردّ بها الإنسان إلى أغوار العقل الباطن. ويهمل جانبه المنطقي والروحي. وأنه لم يفهم المرأة ولم يتذوق الموسيقى ولا يحس بجلال العقيدة. ولقد أسرف فرويد بتضخيم النظرية الجنسية فكان يرى واهمًا. أن الشهوة الجنسية أو الرغبة الجنسية تحدد الأمراض النفسية والسلوك بين الرجل والمرأة. وأن هذه القوة تنشأ من الصغر وبدايات العمر وتمتد وتعظم وتتجذر مع تقدم السن. وأن العلاقة بين الطفل وأمه علاقة جنسية مبعثها اللذة الحاصلة من الرضاعة. وأن الأعضاء الجنسية شكلاً (الانتصاب عند الذكر وعدمه عند الأنثى). وفعلاً (قذف البول لمسافة بعيدة عند الذكر

ولمسافة قصيرة عند الأنثى) تحدد شخصية وسلوك الأطفال. لقد بالغ فرويد في هذا المضمار حتى اعتقد أن شكل براز الطفل ربما يؤثر في تحديد هواياته وعلاقاته. إضافة إلى ذلك حدد فرويد الغريزة الجنسية عند الأطفال الرضع بثلاث مراحل: المرحلة الفمية، المرحلة الإستية والمرحلة التناسلية. وقال: يعشق الابن أمه (عقد[٥] أوديب)، كما تعشق الصبية والدها (عقدة الكترا)، والجنس هو أقوى دوافع السلوك. بينما الثابت أن الأمومة هي أقوى الدوافع السلوكية يأتي بعدها دافع العطش ثم دافع الطعام وأخيرًا دافع الجنس. ولذلك لا يستطيع الإنسان أن يعيش أكثر من ٣ أيام دون شراب. كما لا يستطيع أن يعيش أكثر من ٣ أسابيع دون طعام، ولكنه يستطيع أن يعيش طويلاً دون اتصال جنسي.

امتدادًا لنظريات "فرويد" ركز الغرب على دور المرأة الجسدي في المجتمع، وتجاهل علماؤه أن المرأة كإنسان هي روح وجسد ولها دور حضاري في التربية والتنمية، لا يمكن تقزيمه وحصره في الجنس والشهوة فقط، لأنها تربي أجياله وتسعد رجاله وتشيع المكارم الأخلاقية فيه بعيدًا عن الشهوة والمادية والانحراف الجنسي. ويتحمل فرويد وتلاميذه العبء الأكبر في التركيز الخاطئ على الدور الحيواني للمرأة، لأنهم جعلوا السلوك البشري مرتبطًا منذ اليوم الأول في حياة الإنسان بالغريزة الجنسية والشهوة والاشتهاء.

إن حقيقة العلاقة بين الطفل الرضيع وأمه تعتمد على الأمومة وعلى الضرع الذي يورد الغذاء، وهو طبيعة مركوسة في ذات الطفل كميل ابتدائي في الحياة، وبمعنى آخر: العلاقة بين الطفل وأمه هي إرادة الحياة التي زرعها الله تعالى في خواص الطفل تمامًا كما زرع عيونه وجلده وأعضاءه. وهنا تسقط المقولة الفرويدية بأن: حافز الحياة هو الجنس، وهذا السقوط يأتي من الفهم الفطري لطبيعة

العلاقات الإنسانية بعيدًا عن التركيز الغربي على دور المرأة الحيواني الذي أفسد الأجيال التي نحن منها اليوم. فقد أصبحت المرأة من المنظور المادي مجرد أثداء كبيرة وقدّ مياس وعيون تضاهي عيون الغزلان. وقبل كل هذا أن تكون شهوانية تفرّق الجنس ذات اليمين وذات الشمال دون وازع أخلاقي أو حضاري ومن هذا المنظور يُقبل الشباب في مراحل البلوغ والمراهقة على المرأة بما يناسبها من الوسائل المادية كالإغراء والأزياء والمخدرات والسيارات والمغامرات... حتى الجريمة. الأمراض المتعلقة بالفشل في هذه الرغبات كالهستيريا والانتحار. تلك هي الصورة الخاطئة الساقطة التي تربت عليها الأجيال المادية وأثمرت ما نحن بصدده من أمراض الحضارة كالإيدز والسيلان والضياع النفسي والتشتت الروحي من جهة وسقوط القيمة الإنسانية للمرأة من جهة أخرى.

أما البديل في العلوم النفسية فهو التركيز على تربية الأجيال تربية روحية وجسدية متوازنة ذات تعاريف ومفاهيم وتصورات واضحة للمرأة وللجمال وللجنس وللحلال وللحرام وللحرية وللضوابط في كل ذلك. بموجب هذه التربية ينشأ الطفل نشأة فطرية. وبموجب هذه النشأة يتدرب الأطفال على التمتع بجماليات الكون الطبيعية. بديلاً عن التركيز المطلق على جمال المرأة وقوة تأثير الجنس. ويفسح المجال للأطفال للتعرف على خصائص الجمال الطبيعي الكامن في النفس كما في الكون كله كالبحار والأنهار والجبال والسهول والطيور والزهور والسحاب والمطر... ثم يتدرج هذا التعرف إلى تنمية الحس الجمالي المتمثل بالكلمة الراقية والموسيقى العذبة والسلوك الفطري. هذا السلوك يوصل الطفل إلى مرحلة النضوج الطبيعي بحيث يرى في جمال الصباح ما يراه في جمال المرأة. وفي سحر الأنهار ما يراه في صوت المرأة ورقتها

فيحس عندها بالجنس إحساسًا طبيعيًا كإحساسه بالحاجة للتمتع بالطبيعة وكحاجته للطعام والشراب والنوم والسكن، مما لا يجعله مهووسًا متحفزًا للنظر إلى المرأة ولرؤية حيوانيات جمالها، وبالتالي متحفزًا للانقضاض عليها عند أول فرصة سانحة كما ينقضّ النسر على فريسته، وعندما لا تكون الفرصة سانحة تبدأ عنده فترة الأمراض النفسية وتبدأ المشكلة - التي يعاني منها شباب اليوم عمومًا - من جديد.

أمراض النفس!!

تصور شخصًا كبيرًا في العمر لا يستطيع الاستجابة للمؤثرات الخارجية، ولا يدرك الواقع من حوله ولا يستطيع الحوار أو المحاورة أو التصرف في الشؤون الحياتية اليومية. هذا الشخص يعرف بأنه مصاب بنقص في قدرته العقلية. والأمراض العقلية (الذُهان) تشمل أمراض الشيخوخة المدمرة، الأمراض العقلية الناتجة عن المسكرات والأدوية، أمراض الضلال وأمراض انفصام الشخصية ولا بد من التفريق بين هذه الأمراض العقلية وبين الأمراض النفسية (العصاب) والتي يتميز مريضها بأنه يدرك الأبعاد المسببة لمرضه ويتعاون مع الطبيب الذي يعالجه، ولديه القدرة على استيعاب الواقع من حوله، ولا يحتاج إلى رعاية المؤسسات الخاصة بالأمراض النفسية وهناك فروقات أخرى لا يتسع المجال هنا لذكرها. ومن الأمراض النفسية الشهيرة: التوتر العصبي، ضعف الشخصية وتشتتها، الانحراف الجنسي والخلل الجنسي، الحالات النفسية المرتبطة بتعاطي المسكرات واستعمال بعض الأدوية النفسية، أمراض مصدرها خلل عضوي، القلق والضغط النفسي وأخيرًا أمراض نفسية بسبب خلل دماغي.

من الأمراض النفسية المتلازمة مع خلل عضوي، أي مصدرها خارج النفس، مرض الضعف أو الوهن وعادة ينشأ هذا المرض نتيجة

لمرور شخص في مرحلة مرضية طويلة، أو نتيجة الإرهاق والحساسية من قضايا ذات مدلول خاص في حياته، أو بعد الجوع الطويل أو الارتباط بعادات الإدمان على الكحول أو حتى على القهوة. هذا الوهن عادة ما يكون مرتبطًا بخلل عضوي يؤدي بدوره إلى هذه التعقيدات والأعراض السريرية. ولا يستمر هذا الوهن عادة لمدة طويلة إلا إذا بقي الشخص يعاني من مسبباته الرئيسية، سواء باستمرار المؤثر أو بوجود مؤثر آخر طارئ مثل فقدان الوظيفة، الفشل الزوجي، خيبة الأمل بصديق أو بمشروع تجاري، وما شابه ذلك من الصدمات. ولا يمكن لهذا الوهن النفسي أن يتحسن إلا بتقوية النفس والبعد عن المصيبة والتركيز على الفعل الإيماني في النفس.

من الأمراض النفسية الخطيرة أيضًا: حالات شبه الهذيان، وتتميز هذه الحالات بضبابية في النفس وارتباك وعدم اتزان في التفكير، ويتأتى كل ذلك من عوامل بيئية مثل الأصوات القوية الحادة والانفجارات المخيفة التي قد تسبب الهلوسة لدى المريض، وكذلك من مؤثرات المجتمع كالخوف والرعب والقلق وغموض المستقبل. ويمكن للمريض أن يتحسن ويشفى بزوال هذه المؤثرات عن نفسه. وبالتالي يمر المريض بمرحلة نسيان لما حدث. وقد تسبب الظروف المحيطة بالمريض، وبخاصة الجهل الاجتماعي، إلى ترسيب المزيد من العقد في نفس المريض مما يؤدي به إلى الهذيان التام. وهذه مسؤولية اجتماعية ولا شك. أما الهذيان النفسي فعادة ما يكون متصاحبًا مع الارتفاع الحاد في درجة حرارة الجسم، أو مع الاستعمال الكثيف لبعض أنواع الأدوية المؤثرة على الجملة العصبية. ويتميز هذا المرض بأعراض عديدة منها: القلق، التعب المرضي، الحساسية المفرطة للمؤثرات الخارجية، الصداع، فقدان الذاكرة، عدم التمكن

من النوم الطبيعي. والحالات القوية من الهذيان النفسي قد تمر بالهلوسة والضبابية وبضعف الحواس وخاصة البصر. عندها يحس المريض بخوف من كل شيء يراه. أما الحالات الجنونية المسببة من فرط استعمال الكحول. فتتميز بالضياع وباسترجاع الماضي كشريط سينمائي أمام العين. وتزداد حدة هذه الحالات في الليل وعندما يتصور المريض نفسه طائرًا في الهواء. أو أنه يحترق أو أنه يتقطع إلى أجزاء صغيرة. أو أنه يدفن حيًا أو أنه يُسمم قصداً.

من الأمراض النفسية الأخرى المنتشرة عالميًا "مرض النسيان"[1]

- ومن الاسم. يُستنتج أن المرض مرتبط باضطراب في الذاكرة للقضايا المخزونة في العقل منذ فترة بعيدة. والمريض يتذكر بذلك. القضايا المخزونة في عقله منذ فترة قصيرة من الزمن. وعادة ما يحدث هذا المرض بعد أو إثر حادثة مؤلمة ويكون في بعض أنواعه مرتبطًا بنسيان كلمات أو أسماء أو أشكال معينة أو حتى قراءة وملاحظة حروف مطبوعة أو مرسومة أمام المريض. وحيث أن المريض يصبح فاقدًا للذاكرة البعيدة فإنه يملأ دماغه بمعلومات وتصورات واهمة خيالية خالية من الموضوعية والتركيز. ويصبح بذلك مستعدًا للحديث بشكل مرتبك وطفولي. وهذا المرض غالبًا ما يتطور عند المدمنين على الكحول والذين يتعرضون بكثافة لغازات أول أكسيد الكربون ونواتج الرصاص. وكذلك في الأشخاص الذين يعانون من نقص في الفيتامين ب١. أو الذين عندهم تاريخ لمرض الفلس الدماغي أو تصلب الشرايين وهذا المرض الخطير قد يكون بسبب دمار في الدماغ وقد يكون من نواتج الهذيان الجزئي أو الهلوسة أو الاضطراب.

(١) قد تنتج الأمراض النفسية إثر إصابات جرثومية وتسمم متلازم مع أمراض عضوية مثل الإنفلونزا. التيفوئيد. التهاب الصدر. التتانوس. الدفتيريا. الملاريا. التهاب غشاء الدماغ. السل والإيدز

مرض الحضارة الآخر والأخطر من بين الأمراض النفسية الأخرى هو مرض الخرف الذي ينتج عادة بسبب خلل في الدماغ ويسبب اضطراب العواطف وقلة التركيز والوعي. هذا المرض يحوّل المريض إلى شخص مشتت لا يستطيع ضبط الزمان أو المكان ولا التركيز على الأفكار ولا حتى على نفسه. فهو فاقد لقواه العقلية ومضطرب في عواطفه وسطحي في حبه وكرهه وعلاقاته وأفكاره. حتى أنه قد ينفجر غضبًا عندما يجد نفسه في دوامة نفسه الضائعة.

هناك أمراض نفسية أخرى تتلازم مع الأوضاع الجنسية الطارئة على الرجل أو على المرأة. كتلك الأوضاع النفس - جسمية. الناشئة من اضطراب الدورة الشهرية أو سن اليأس أو النقص الهورموني أو عمليات التعقيم عند المرأة. وما يشابهها من تفاعلات في سن اليأس عند الرجل. أو تلك التي يعاني منها الشباب بعد تعاطيهم للعادة السرية... وغالبًا ما تؤدي هذه الأعراض النفسية إلى كآبة ووهن جسدي وارتداد عاطفي يعود على النفس بالانهزام والحساسية المفرطة.

الشذوذ الجنسي

تقدر التقارير الصحية أن ٥٪ من كل المجتمع الغربي تمارس اللواط بشكل دائم، أما نسبة ممارسة اللواط بشكل متقطع فيتعدى هذه النسبة، وقد أباحت بعض الدول الغربية اللواط وبخاصة بين البالغين. ويراه بعض المحللين الاجتماعيين أمرًا طبيعيًا شريطة ألاّ يكون بين الأغرار، ولا معهم ولا يمارس بالقوة. بينما تراه الأديان قضية شاذة تستوجب العقاب.

قال رسول الله (ﷺ): "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به". وقد دمّر الله تعالى قرية سدوم التي سكنها قوم لوط عليه السلام الذين تمادوا في ممارسة هذه الفاحشة.

وقد وجد أن ظروف المجتمع المغلق كالسجون أو السفن المبحرة إلى مناطق بعيدة، تفرض سلوكًا "لواطيًا" في بعض الأحيان مع أن هذا السلوك، لا يكون متأصلاً بالنفس، ولو أراد الشخص تقييده لتمكن.

وغالبًا ما يعود الشخص عن هذه الممارسات فور انتقاله إلى المجتمع المفتوح. من الإحصائيات الطبية وجد أن الإدمان على الكحول، المخدرات، الانتحار، الاضطراب النفسي والرغبة في تغيير الشريك، كل ذلك من الخصائص الملازمة للسلوك اللوطي.

يرى علماء النفس أنه ليس هناك دليل علمي على أن الطفل ربما يولد لواطيًا، ولذلك يفتش في المجتمع عما يشبع رغبته هذه. ويرى

علماء الحياة أن نظرية الخلل الهورموني المؤدي إلى السلوك اللوطي هي مجرد تصور لا دليل عليه. من مآسي اللواط ما يتعرض له الأشخاص اللوطيين عندما يصبحوا في منتصف العمر أو يتعدونه إلى الشيخوخة. وذلك بديهي لأن رغبة اللواط تكون مرتبطة بالقوة الجسمية والأناقة والوسامة. وهذه الصفات تتضاءل وربما تنتهي في هذه الأعمار. وقد وجد أن مثل هؤلاء يضطرّون للإدمان على الكحول والمخدرات وينحدرون في عقد نفسية سوداوية قريبة من الجنون والتي قد تؤدي في بعض درجاتها إلى الانتحار.

الرجل المرأة.. والعكس!؟

هناك حالات "جسم - نفسية" يكون فيها الشخص في منتصف الطريق بين الذكورة والأنوثة. وهي حالات طبية تحتاج إلى علاج طبي تربوي. في التربية يجب رعاية مثل هؤلاء الأطفال ومراقبة سلوكهم وفصلهم عند اللزوم عن الإناث وبخاصة أثناء النوم حتى لا تنشأ لدى الطفل الذكر الرغبة بالتحول إلى أنثى أو إلى عقدة الأنثى. وقد وجد أن الطفل الذي يعيش مع الإناث ويخالطهن في أوقات النوم قد يتطبع بخصوصياتهن مما يشعره برغبة التحول إلى الجنس الآخر. والعكس صحيح.

هذه العقدة قد تنمو في سنوات المراهقة والبلوغ بحيث تجد بعض البالغين من الرجال يراجعون العيادات النفسية طالبين أن تجرى لهم عمليات تجميل ليتمكنوا بموجبها من الدخول إلى عالم المرأة. وقد يلجأ بعض هؤلاء المعقدين إلى أخذ جرعات من الهورمونات الأنثوية وتغيير ملابسهم وحتى أسمائهم. بينما يلجأ آخرون إلى العمليات الجراحية لإزالة الأعضاء الرجالية لصالح الجنس الآخر.

هذه العقدة تؤدي حتمًا إلى الدخول في العديد من التعقيدات

النفسية والاجتماعية المؤدية أحيانًا إلى الانتحار أو الإدمان. أما النساء اللواتي يفضلن التحول إلى رجال، فهن في الغالب ممن يتحولن إلى سحاقيات أو راغبات بتنمية الصفات الرجالية عبر تعاطي الهورمونات المذكرة. هذه الحالات ليست وراثية وهي ناشئة من البيئة وسوء تربية الأطفال.

يرى علماء النفس أن الاضطراب في النمو واكتساب مثل هذه العادات غير السوية قد يؤدي إلى عقد جنسية كالسادية، والتشبه والإثارة بواسطة الهياكل والأزياء والزنى وما شابهه من الانحرافات.

الانتحار

الانتحار شذوذ عصري مُظلم. وهناك فرق بين الانتحار ومحاولات الانتحار. أما محاولات الانتحار فهي غالبًا ما تعني فشل الشخص في تحقيق ذاته، وحاجته الماسة لإرسال رسالة إلى الآخرين مفادها "طلب العون". وغالبًا ما تكون محاولات الانتحار مجرد خدعة نفسية كوسيلة دفاعية في مقابل الفشل، ولكن يجب عدم الاستهتار بهذه الخطوة، لأن الاحصائيات تشير إلى أن الكثير من حالات الانتحار كانت مسبوقة بمحاولات فاشلة. والمحاولة تعني بشكل أو بآخر "حب الحياة" لأن طرق الانتحار ميسّرة ومكشوفة وعدم اللجوء إليها بنجاح يدل على كراهية للموت توازي الكراهية المستورة في نفس الفرد للمجتمع وللذات.

والانتحار يمثل أحد أكثر عشرة أسباب رئيسية مسببة للوفيات. وقد وجد أن الرجال أكثر من النساء نجاحًا في الانتحار ذاته. وحالات الانتحار كثيرة نسبيًا عند المراهقات والمطلقات والأرامل والوحيدين. وهي كثيرة نسبيًا في أصحاب المهن مثل المحامين وأطباء الأسنان والعسكريين والأطباء مقارنة بالناس العاديين وأصحاب المهن الحرة الأخرى. وفي دراسة عن نسبة الانتحار عند أصحاب المهن الطبية وجد أن الأطباء النفسانيين هم أكثر هؤلاء انتحارًا. والانتحار هو الأقل عند رجال الدين وعند المتدينين عمومًا لأن الأديان (مثل

الإسلام) حَرّم تحريمًا مطلقًا الانتحار ومن انتحر من المسلمين متعمدًا عاقبه الله في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا.

إلاّ أن بعض حالات الانتحار سجلت في مثل هذه الأوساط في حالات الغضب وخيبة الأمل، وهذا أمر طبيعي لأن النفس البشرية ذات خطوط متقابلة تتفاعل مع الظروف والمعطيات، سواء في رجال الدين أو في رجال الدنيا وفي أي نفس بشرية على الأرض.

لماذا الانتحار؟ لماذا ينتحر الفقير والغني والصغير والكبير والطبيب والعاطل عن العمل، والأمير والحقير، والرجل والمرأة والمكتشف والمغنّي والمهرب والضابط والرئيس و... كل الناس؟

ما دامت القضية تتعلق بكل شرائح المجتمع، فلا بد إذن من عامل مشترك يدفع الناس إلى تدمير حياتهم بأيديهم... وبكلمة واحدة - قبل الدخول في الأسباب - يبدو أنه "الإفلاس". إفلاس الفرد، والأمة والدولة، والحضارة... الإفلاس المادي، الإفلاس الذي ينذر البشرية بدمار تام شامل، تمامًا كما يدمر الإيدز البشرية بشكل شامل.

يبدأ الانتحار من الاكتئاب الذي يسيطر على نفس المرضى في مجتمعاتنا المادية، ثم من خيبة الأمل والضياع الذي يسيطر على مثل هؤلاء، ومن داخلهم. إذ لا يلجأ إلى الانتحار إلاّ أصحاب الشخصيات المضطربة الخائرة، وقد يتوج كل ذلك الخلل الجسمي وبخاصة إذا كان في الدماغ أو الجهاز العصبي. وقد تبين أن الاكتئاب يسبب حوالى نصف محاولات الانتحار المدونة في الإحصائيات، مما يدل على تفكك المجتمعات المادية التي لا تنظر إلى الإنسان إلاّ من زاوية إنتاجه. فإذا ما توقف عن الإنتاج (كالآلة) توقف اهتمام الناس به، حتى وإن كان هؤلاء من أبنائه وأقربائه. وقد ينتج الانتحار من انفصام الشخصية، وقد ينتج بسبب إدمان الكحول أو المخدرات.

فقد دلت الإحصائيات أن ثلث الذين يحاولون الانتحار يكونوا

تحت سيطرة الكحول، ولو بدرجات متفاوتة. والدراسات الطويلة الأمد أظهرت أن شخصًا واحدًا من كل عشرة مدمنين ينتحرون، وهم تحت التأثير السمي لهذه الآفة الاجتماعية الخطيرة. إضافة إلى كل ذلك فإن المرضى بالصرع أو الذين يعانون من أمراض عصبية أخرى، هم أكثر من غيرهم عرضة للانتحار إذ أن عجزهم الدماغي والأدوية التي يدمنون عليها خلال العلاج النفسي تضعهم في وضع مأساوي لا ينتهي إلاّ بإنهاء حياتهم وتخلصهم من الحياة دفعة واحدة.

انفصام الشخصية

لننتقل إلى حالة أخرى، إلى الشيزوفرينيا، انفصام العصر. هذا رجل منفصم عن العالم من حوله، خائر النفسية من الداخل، متناثر الأفكار والعواطف مقطوع الصلات مع المجتمع من حوله، وهو ذو وجهين.

تنشأ مثل هذه الحالات برابط وراثي، ولكن العوامل الوراثية ليست كافية لكي يصاب الشخص بالشيزوفرينيا إذا لم تكن العوامل البيئية من حوله ملائمة لمثل هذا الانفصام المرضي الخطير، وإذا لم يكن الشخص بحد ذاته مؤهلاً لهذا المرض، وبخاصة بعد إصابته بالتهابات قوية أو ضغط نفسي، أو اضطراب في العقل، أو فقر شديد، أو أي صدمة مماثلة قادرة على إدخال هذا الشخص إلى عالم الانفصام، حيث يغادر بأفكاره ونفسه، العالم الذي نعرفه إلى عالم نفسه.

ترى الإحصائيات أن ١٪ من كل سكان الدنيا يعانون من أنواع مختلفة من الانفصام، وأن الشباب في فترات البلوغ وبدايات النضوج هم أكثر الشرائح الاجتماعية تعرضًا لهذا المرض النفسي، مع أن هناك حالات خاصة تصيب أعمارًا متأخرة. وقد وجد أن ١٠٪ من أقارب الأشخاص المصابين بهذا المرض معرضون للانفصام مما يؤكد الدور الوراثي، ويؤكد كذلك أن المحيط الاجتماعي قادر على

تقليل هذه النسبة أو زيادتها.

في بداية الانفصام يمر المريض بفترة يصعب معها إقناعه بأمر وقوعه في الانفصام النفسي. يبدأ المريض بالخوف من القادم: هل يفقد التركيز أم يصبح مجنونًا. بعد هذه المرحلة يبدأ المريض بتمثيل مرضه على شكل صراع بين الحق والباطل في نفسه، أو بشكل إسقاط لمشاكله وانحلاله الداخلي على المجتمع فكأن هذا المجتمع يمارس القتل عمدًا ضد الأبرياء.

في مرحلة لاحقة يصبح التفكير صعبًا على المريض. ولذلك يبدأ بإقناع الآخرين بصحة تفكيره على الرغم من تشتته وعدم صحته. يقول مثلاً: أنا كنت دائمًا أؤمن بطهارة البشرية. ولكنني لست امرأة. لأنني أحمل تفاحة آدم. وهكذا يبدأ المريض بتحسس آثار معركة ضارية بين الحق والباطل في نفسه. هذا التدهور قد يجعله يظن أن النساء هم الرجال لأن كلمة (women) تحوي كلمة (men) وهكذا يصل المريض إلى مرحلة "تأجير" عقله أو إغلاقه.

في الحالات المتطورة من انفصام الشخصية يبدأ المريض بمشاعر التغيّرات العاطفية والتي غالبًا ما تتصاحب مع الضغط النفسي والإثارة والكآبة أو السمو النفسي المصطنع. ثم تبدو على المريض علامات فارقة بحواسه كالصفير والشم والتذوق واللمس والنظر. بما في ذلك كل ما يمكن تخيله من حواس شخص منفصم الشخصية. في مرحلة لاحقة يحس المريض بأنه خارج هذا العالم، وأن هناك أجهزة ترسل صوته وتتحكم بأفكاره. وبأنه ضحية في وسط مؤامرة دنيئة. وهذه الأفكار هي ما نسمّيه بالتوهم. المرحلة الأخطر هي مرحلة التجمد وفيها تضطرب الحركات لدى المريض حتى أنه ليقفز أو ليقف في أشكال مضحكة وقد ينام ورأسه مرتفع فوق المخدة وغيرها من الأعراض المرضية. وأخيرًا تأتي التصرفات

العدائية للمريض. فقد يؤذي نفسه وقد يؤذي غيره بالقتل أو الخنق وقد تتطور حالة المريض إلى الانتحار.

العقد النفسية

العقد النفسية التي تجتاح إنسان الحضارة المادية، أكثر من أن تعد وأصعب من أن تحصى: بعض الرجال يفضلون تحقير النساء أثناء العمليات الجنسية وجلدهن أو خنقهن بالحبال بعيدًا عن المعنى الإنساني للعلاقات الاجتماعية. بينما البعض الآخر يفضل كسب الشهوة بتعذيب الطرف الآخر أثناء المداعبة والجماع. بعض المعقدين يرغبون بمشاهدة الآخرين وهم يمارسون الجنس. أما عقدة التشبه فهي رغبة بعض (الرجال) ارتداء الملابس النسائية ووضع المكياج تشبهًا بالنساء ثم الظهور اجتماعيًا في المناسبات والحفلات. أو أن يرتدي الرجل الملابس الداخلية النسائية لتحقيق رغبة كامنة في النفس، أو العكس كأن ترتدي (المرأة) حذاءًا رجاليًا أو أن تضع مسدسًا على خصرها أو أن تقوم بأي عمل، مهما كان غريبًا ومخالفًا للمألوف، أملاً بكسب الإثارة والإحساس بالشهوة.

يعزي بعض علماء النفس، هذه العقد إلى الخواء الروحي، والشعور بضرورة الإسقاط، الفشل، خيبة الأمل والارتداد إلى المادية والحيوانية الكامنة في العقل الباطن والناتجة من الفهم المادي الأحادي للكون.

السادية

د

للسادية وللسا و مازوخية قصة حميمة مع الشذوذ فهي إيقاع الألم بالآخرين. والمازوخية هي العكس أي تقبّل إيقاع الألم على الذات. والاستمتاع به. ينسب التعبير الاصطلاحي الأول إلى المركيز دي ساد (١٧٤٠-١٨١٤م) الذي اشتهر بمؤلفاته ذات المحتوى الجنسي العنيف. وبرغباته في التلذذ بتعذيب النساء أثناء ممارسة الجنس معهن. له رواية (جوستين وجوليت) المعروفة أيضًا باسم (لعنة الفضيلة ونعمة الرذيلة). كان المركيز يعاني من اضطراب نفسي تولّد من كراهيته لأمه ولذلك أطلق لخياله ولسلوكه العنان في إيذاء وامتهان المرأة. دخل إلى مستشفى الأمراض العقلية حيث أمضى بقية حياته.. المازوخية هي تعبير عن حالة الفرد في إقباله وتقبله لما يمكن أن يقع عليه من ألم وإيذاء جسدي أو نفسي من شخص آخر واستمتاعه بهذا الألم. ينسب هذا الاصطلاح إلى الروائي النمساوي مازوخ (١٨٣٦-١٨٩٥م) صاحب رواية فينوس في الفراء. وهي تعبر عن بعض ذكريات المؤلف. ويذكر أن مازوخ كان يراقب عمته - وهي تخون زوجها - وذلك أثناء اختبائه في دولاب الملابس وتمتعه بمنظر الجنس بينهما. وعندما اكتشفت عمته أمره أشبعته ضربًا. فأصبح الضرب عنده وسيلة للإثارة الجنسية عبر تذكر منظر الجماع والمداعبة وهذا ما عبّر عنه في رواياته.